

المقاربة اللسانية الإدراكية لخطاب النكتة

A Cognitive Linguistic Approach to Joke Discourse

سعيدة حمداوي Saida Hamdaoui

جامعة أم البواقي/ الجزائر

saida.hamdaoui@univ-oeb.dz

DOI: 10.46315/1714-014-002-042

الإرسال: 01 / 01 / 2025 القبول: 14 / 05 / 2025 النشر: 16 / 06 / 2025

**

ملخص:

تشكل الفكاهة التي تحققها النكتة وسيلة معرفية إدراكية بحتة، ما يتيح لنا نتبع هذا الخطاب اللغوي وفق ما جاء به المتخصصون في مجال اللسانيات الفكاهية الإدراكية. وقد اخترنا مجموعة من النكت من كتاب "ألوان بلا تلوين" لمحمد الأخضر السانحي لبيان هذا الانفتاح الذهني على الذات المدركة من جهة والعالم الخارجي من جهة أخرى، من أجل استثمار مكتسبات اللسانيات الإدراكية في تطوير مختلف الخطابات الأدبية. كلمات مفتاحية: اللسانيات، الإدراكية؛ النكتة؛ اللغة؛ الذهن.

Abstract:

The humor achieved by the joke constitutes a cognitive style, which allows us to trace this linguistic discourse according to what specialists in the field of cognitive humor linguistics have stated. We have chosen a group of jokes from the book Colors Without Coloring by the writer Mohamed Lakhdar Essaihi to demonstrate this mental openness to the perceived self on the one hand and the external world on the other hand, in order to invest the gains of cognitive linguistics in developing various literary discourses.

Keywords : linguistics; Cognitive; The joke; language; mind.

**

1- مقدمة:

ركزت مختلف الدراسات على دراسة خطاب النكتة وفق مختلف الزوايا، ومنحت هذا الخطاب أهمية بالغة فتحوّل من مجرد قالب رذيل وصيغة من صيغ الازدراء إلى شكل من أشكال اللعب التنافسي، وتعبيرا عن سلسلة من الأفكار التي تتماشى وتجاربنا الخاصة، وانعكاسا للأوضاع التي تعيشها الذات الواعية خاصة أن سيغموند فرويد (Sigmund Freud) قرنّها بتقنيات الأحلام والأنا اللاواعية نظرا لحمولتها الهزلية المكثفة، وارتباطها بدوافع خفية تحفزنا على الضحك. ويتم الحصول على التأثير الكوميدي للنكتة من خلال تقنيتين متميزتين وفقا لفرويد: الأولى تعتمد على الكلمات الفعلية نفسها وتعتمد التعبير اللفظي، والثاني يتعلق بالفكر الموجود في النكتة، وهذه التقنية مستقلة عن التعبير اللفظي المستخدم" (Quinodoz, 2005, p51).

علاوة على ذلك، ترتبط النكت بالحياة الواعية والاجتماعية للأفراد بوصفها شكلا من أشكال الاتصال، ومنتجا من أكثر منتجات العقل إبداعا وتأثيرا، إذ تتلازم النكت مع التمثيلات اللغوية حين تتلاعب بالكلمات مفاهيميا لتشكل معاني مزدوجة، فتشوش الفكر عن طريق استبدال فكرة بما يخالفها أو خلق شيء لا معنى له. ويحدث التأثير الفكاهي عندما يحدث التداخل بين النصوص المتعارضة، ويتم حل التناقض بينها باستخدام آليات منطقية نابغة من التركيبية الخاصة للنكت. ونحو تطوير نهج إدراكي للفكاهة طرقت اللسانيات الإدراكية خطاب النكتة، وسعت للنظر في طرق إدراك الفكاهة بغض النظر عن نوع الدعابة أو التقنيات المستخدمة.

2- اللسانيات الإدراكية وخطاب النكتة:

تصدمننا النكات بتخريبها المنظم لمنظومتنا الفكرية؛ لأنها "تطلب منا تخيل سيناريوهات خارجة عن المألوف بحيث يبدو أن الأنماط أو قواعد السلوك التقليدية تتفكك، بنفس الطريقة إلى حد كبير" (Brône, Feyaerts, Veale, 2015, p69)؛ ما يعني أن النكات لها السمات التجريدية المشتركة ذاتها مع التجارب الفكرية، والنمط السردى المنظم "بإحكام لتوجيه الجمهور إلى نتيجة معينة، وغالبا ما تكون صادمة" (Brône, Feyaerts, Veale, 2015, p70). ويمكن النظر إلى النكات والتجارب الفكرية على أنها ألعاب لغوية تطرح حالات استثنائية لتخريب أو تقويض أنماط التفكير التقليدي والأشخاص الذين يستغلونها. إذ تُستخدم النكات والتجارب الفكرية على حد سواء للبحث على إعادة تقييم عقلية أو نمط أو سلوك معين، ولكن من المهم ملاحظة أن النكات تُمنح ترخيصا خاصا لعملية الخرق، وحرية كاملة في استغلال كل أساليب السخرية والاستعارة، وهو أمر يحظر على الواقع الفكري العلمي لاستناده إلى الإنصاف والواقعية والوضوح الوصفي للحجج المستخدمة. من هنا، لا يُتوقع أن تكون النكات عادلة أو واقعية، حيث تقاس فعاليتها بقدرتها على إثارة الضحك (Brône, Feyaerts, Veale, 2015, p88).

تشكل النكات "وحدات قائمة بذاتها تعطينا معلومات حول طبيعة اللغة وطبيعة العقل الذي يعالجها... توفر بيانات ممتازة لاستكشاف طبيعة المعرفة اللغوية والعقل البشري الذي لا ينفصل عنه على الرغم من أن الناس قد يضحكون في النكات الخاصة بمفردهم، إلا أن النكات هي في الأساس ظاهرة اجتماعية، كما هو الحال مع استخدام اللغة في معظم وظائفها... تتم مشاركة النكات في التفاعل" (Aarons, 2012, p5)؛ ما يعني أن النكات وسيلة للعب باللغة مع الآخرين وإثبات لقدرتها التفاعلية، وتجاوز لفكرة استخدام اللغة في حد ذاتها من أجل المتحدث فقط. وتتجاوز النكات هذه الوظيفة "لتنشط شيئا لا تفعله التفاعلات العادية: إنها تجعلنا نفكر في اللغة" (Aarons, 2012, p8).

انبثق من اللسانيات الإدراكية جهود في مجال أبحاث الفكاهاة أبرزها "النظرية العامة للفكاهاة اللفظية" عند سلفاتوري أتاردو (Salvatore Attardo) منقحا ما قدمه فيكتور راسكين (Victor Raskin) في "نظرية النصوص الدلالية في الفكاهاة". وتعد النظرية العامة للفكاهاة اللفظية نظرية لغوية تشمل مجالات أخرى من اللسانيات ونظرية السرد والتداولية. ويتم تحقيق هذه التوسعات من خلال إدخال خمسة مصادر معرفية أخرى يستفاد منها عند إنشاء النكت، بالإضافة إلى معارضة النص من نظرية النصوص الدلالية في الفكاهاة، والآلية المنطقية والهدف والاستراتيجية السردية واللغة، والموقف. (Attardo, 2001, p22)

إن النظريات المنضوية تحت اللسانيات الإدراكية هي الأقرب لتوفير الأدوات التحليلية والنظرية لدراسة استخدام اللغة لأغراض فكاهاية، إذ تنبع طواعيتها للتطبيق "من تركيزها على تجسيد اللغة والبحث في الكيفية التي يتم استخدامها من قبل البشر الذين لديهم أنواع معينة من العقول والأجساد مع أهداف مادية واجتماعية معينة في سياقات مادية واجتماعية محددة" (Brône, 2015, p5)؛ ما يعني أن طبيعة اللغة المستخدمة في النكات تتأثر بشدة بالسياقات الاجتماعية المعينة التي تُستخدم فيها والأغراض الاجتماعية التي تخدمها. وبالمقابل تلعب الأنظمة المعرفية غير اللغوية دورا مهما في معالجة اللغة الهزلية. ويشكل الخطاب الفكاهاي ظاهرة معرفية اجتماعية من جهة ومعقدة ومتنوعة يصعب تصنيفها من جهة أخرى. إذ "تتضمن الفكاهاة أساسا مجموعة واسعة من القدرات خارج الشكل اللغوي المناسب، بما في ذلك أنواع أخرى من العمليات المعرفية والتفاعلات الاجتماعية. وليس من المستغرب أن يتطلب فهم اللغة الفكاهاية فهم طبيعة البشر الذين يستخدمونها" (Brône, 2015, p65)؛ ما يعني رسوخ الجانب المعرفي والاجتماعي في كل أشكال الدعابة رغم قالبها اللغوي وارتباطه بالطبيعة البشرية.

وعليه، فإن النكات من منظور اللسانيات الإدراكية نظام معرفي تكمن فيها ذات الاستراتيجيات الدلالية المعرفية، إذ تتجاوز الآليات اللغوية المجردة بالنظر إلى آليات دراسة الفكاهاة سواء اللفظية وغير اللفظية أو التورية المتأتية من الجمع بين معنيين مختلفين، والنابعة من الفهم المفرط، ومن قدرة المتحدث على عكس المعنى المقصود من كلام المتحدث السابق، واستغلال نقاط الضعف الموجودة فيه لتحقيق تأثير روح الدعابة، ما يجعل اللسانيات الإدراكية تقدم أفضل إطار لدراسة شاملة لخطاب النكتة التي تعتمد الاستبدالات المعرفية غير المتوقعة التي تسبب مفاجأة سارة.

3- الفضاء الذهني في كتاب "ألوان بلا تلوين":

1-3 فضاء الأب/ فضاء الابن:

"غضب الأب على ابنه الصغير الذي أعاد السنة الدراسية مرة ثانية، وقال له: إنك وحدك الذي أعاد السنة الدراسية، كل زملائك نجحوا. فقال الطفل: لست وحدي، حتى المعلم أعاد معي السنة" (الأخضر، 2016، ص74).

تتجلى صورة الشيء في الذهن (الفضاء الذهني عند الأب والمتمثل في غضبه لرسوب ابنه) من جهة، وهي تطابق صورة واقعية لشيء آخر (صورة الابن عن رسوب المعلم معه) من جهة أخرى، إذ تحكمهما مطابقة جزئية ويطلق على هذا الرسوب المزدوج نتيجة للمطابقة بين شيئين أحدهما في الواقع فشل الابن في تجاوز السنة، والآخر في الفضاء الذهني للمتكلم الابن (فشل المعلم المفترض وتدريبه للسنوات ذاتها). ويؤدي ظهور النص الأول (الأب) والذي سيعارضه بعد ذلك النص الثاني (سيناريو الابن) الذي يتم تنشيطه من خلال تبرير الابن لرسوبه وتخفيف وطأته. من هنا، يبرز الاستغلال الفكاهي لمثل هذه الأنماط وتحليل التناقض من حيث الخصائص اللغوية.

"قرأ الطفل: "لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد". فلما سمعه أبوه قال: صدقت، إنه كذلك" (الأخضر، 2016، ص87).

كشفت هذه النكتة عن الاتصال ما بين النحو والتجربة العقلية في جميع المستويات، وما يكون به بناء الواقع والتجربة والتعبير عنهما عند الإنسان باعتماد العبارة اللغوية. ويبرز دور الوعي في بلورة فضاء الطفل على الرغم من أنه ليس بالضرورة مدركا لمحتوى مساحته الذهنية وحدودها المنطقية. إذ تقاطع الفضاءان (فضاء الطفل) المرتبط بالمجال الديني، في حين أن الخطاب نفسه أنتج (فضاء اجتماعيا) عبر عنه الأب حين أكد دلالة العبارة المحرفة نحويا (لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد) من الآية الكريمة.

2-3 فضاء المعلم/ فضاء التلميذ:

"قال المعلم للطفل الصغير: نحن كلنا أبونا آدم وأمنا حواء فغضب الطفل، وقال: لا، أنا أبي مسعود" وأمي "يمينة"...." (الأخضر، 2016، ص81).

إن الفضاء الواقعي المتمثل في أبوة سيدنا آدم وأمومة أمنا حواء للبشر وهو (فضاء المعلم) المنبثق من الفضاء الديني يقابله تصور التلميذ الذهني العائلي وحلوله محل الفضاء الأول. ويقدم الفضاء الذهني عند الطفل بطريقة تراعي تركيبته العقلية في بناء المعلومات وتقسيمها في شكل مفاهيم مغايرة. هذه المساحة العقلية التي يتم استنباطها في التواصل الفكاهي متميزة، ولكنها متصلة عبر طبقات خطاب الطفل الاجتماعي. ويؤسس فضاء الطفل فضاء ذهني جديد (فضاء اجتماعي عائلي).

"قال المعلم: أعرب «مات الرجل». قال الطفل: «مات» فعل ماض، و«الرجل» فاعل.... فقال المعلم: والفاعل ماذا يكون؟ فقال الطفل: يكون مرفوعاً على النعش" (الأخضر، 2016، ص76).
تبني العبارة (يكون مرفوعاً على النعش) فضاء ذهنياً يختلف عن الفضاء الأساس، أي عالم الواقع اللغوي الموافق (الرفع بوصفه حركة إعرابية) وفيه يظهر (الفضاء اللغوي) نظيراً للواقع الفعلي لفعل الموت، فالترابط كائن بتطابق تصويين لمعطى واحد. هذه النقطة تصور كيف يشيد الفضاء الذهني صوراً جديدة وعبارات وكلمات مستحدثة بناء على فضاء مقابل له ذهنية جديدة ودلالات جديدة تضاف إلى ما يوجد في الذهن من كلمات وعبارات ودلالات قديمة.

"وسأل معلم الجغرافيا الطفل: أين تقع الخرطوم؟ فأجاب الطفل يقع الخرطوم في رأس الفيل" (الأخضر، 2016، ص77).

يبدو في جواب الطفل أن الفضاء العقلي يشتمل على معرفة ضمنية (فضاء حيواني) وصريحة (فضاء جغرافي)، هذا المجال الذهني انبثق تصورياً من سياق الخطاب، وتبني وفقه عوالم ذهنية للشيء، خاصة أن اللفظ (الخرطوم) يتربط في بنيته الذهنية نحوياً ولغوياً، ثم تبدأ الأفكار بالانشطار والتوالد، فيتم تبادل التصور بين المتكلمين (معلم الجغرافيا، الطفل)، ويستمر الترابط على أساس الحدس والذهن.

"وقال المعلم للطفل: أربعة كيلوغرامات بطاطا وثلاثة طماطم واثنان فلفل وواحد بصل كم يساوي الجمع؟ فقال الطفل: طبخة "شكشوكة" (الأخضر، 2016، ص84).

يستنبط نصان محتملان بواسطة هذه النقطة؛ نص واحد أكثر بروزاً يقصده المعلم بسؤاله (مجال علمي)، ونص آخر أقل بروزاً هو ما افترضه الولد من تصور خيالي للسؤال (مجال الطبخ) بوصفه جزءاً يحمل تصوراً ثقافياً. هذا النقل السياقي المفترض كان السبب في توليد التأثير الفكاهي. فالتمثيل الذهني تم الحصول عليها من خلال علامة أو رمز معين (الأشياء المذكورة)، مما أتاح إنتاج لغة مفارقة وفهمها عن طريق القياس والمقارنة بين مقابلاتها الذهنية.

"قال المعلم للتلميذ: هل تعرف أين تقع الكعبة؟ قال: في بيتنا. قال: في بيتكم؟! قال الطفل: نعم علقتهما أمي فوق الخزانة..." (الأخضر، 2016، ص88).

انطوى التنافر في هذه النقطة على ظهور تمثيلين ذهنيين مختلفين بين (فضاء المعلم) المتأتي من المجال الجغرافي، و(فضاء التلميذ) المرتبط بمجال أكثر واقعية بالنسبة إليه، ويرجع هذا التنافر إلى عملية التبديل بين النصوص حيث يوجد دائماً تفسير أكثر بروزاً للكلام (الفضاء الجغرافي لمكة)، والذي يتم تنشيطه والوصول إليه أولاً. وعندما يكون التفسير الأقل وضوحاً (الفضاء

الساذج للتلميذ) بارزا وغير مناسب بالنظر إلى السياق التواصلي يتم استنباط المعنى الأقل بروزا، من هنا تنشأ الدعابة من الغموض بين التفسيرين.

3-3 فضاء الأم/ فضاء الابن:

"قال الطفل لأمه: قال لنا المعلم افتحوا أذانكم، وألقى علينا درساً مهماً، قالت الأم: هل حفظته؟ فقال الطفل: فتحت المحفظة وبحثت فلم أجد المفتاح الذي ذكر..." (الأخضر، 2016، ص82).

في هذه النكتة اجتمع نموذجان لتفسير تضارب وجهات النظر في الفهم المفرط وسوء الفهم والذي بدوره أنتج التأثير الفكاهي من خلال الصدام بين التفسير البارز (فضاء الأم) والمرتبط بخطاب المعلم، والتفسير الخاطئ وغير البارز لأحد المشاركين في التفاعل (فضاء الطفل)، ونتيجة لفهمه المفرط لخطاب المعلم بلجونه إلى آلية الانعكاس (البحث عن المفتاح الحقيقي) انكشفت نقاط الضعف في كلام المتحدث السابق (افتحوا أذانكم) لتحقيق تأثير روح الدعابة.

"أعطت الجارة ديناراً لابن جارتها فقالت له الله ماذا تقول لها؟ فسكت فأرادت أن تذكره فأضافت: إذا أعطاني أبوك الدراهم ما أقول له أنا؟ قال: تقولين له: هذا فقط؟!..." (الأخضر، 2016، ص76).

في هذه الصورة ينبي فضاءان ذهنيان أولهما واقعي، هو خطاب يصوغه الكبار في العالم الحقيقي، وهو مستمد من المجتمع والأعراف والمقام، وثانيتها فضاء ذهني هو الصورة التي صنعتها البراءة. كل واحد من الفضاءين يقترض لنفسه خطاباً مختلفاً مع أنهما نظيران. ما يجعل دور اللغة في هذه العملية نشاطاً رمزياً يكون في المقابلة بين الصورتين (صورة الولد وصورته وهو يقترض سلوك أمه)، فتتجلى نتيجة هذه المقابلة في شكل رموز لغوية تعبر عن هذا الاختلاف، وتصور الفرق بين صورة الابن الآن، وصورته القديمة المستمدة من سلوك أمه، وهي تطلب المزيد من المال من أبيه.

4-3 فضاء الدركي/ فضاء الغبي:

"رفس سائق سيارة غبي كلباً، فقال له الدركي: سوف يكون ثمنه باهضاً، فقال: لا تخف كلبتي ولدت وأعطيه كلبتين..." (الأخضر، 2016، ص114).

ولدت هذه النكتة تمثيلين للخطاب: الأول مرتبط بالمجال القانوني المتأني من مخالفة اقتربها الرجل الغبي (فضاء الدركي)، والمجال الثاني خاص بغياب الاتزان العقلي والرؤية الساذجة (فضاء الغبي)، فالفهم المفرط عند الرجل الغبي انطوى على خلق فضاء تخييلي يفصل فيه المتحدث نفسه عما قاله نظيره، ويحصل نتيجة لذلك سوء الفهم وتخطيط خاطئ غير متوافق مع مساحة المحاور الخاص.

3-5 فضاء الطبيب/ فضاء المريض:

"قال النادل للزبون الخارج من المطعم: لقد نسيت يا سيدي فأخذت الملعقة في يدك قال الزبون كلا، لم أنس، إنما أمرني الطبيب أن آخذ ملعقة بعد كل وجبة." (الأخضر، 2016، ص123).

تجلت في النكتة ظاهرة خطابية تحيل فيها العبارة على معناها أو مرجعها إحالة غير معهودة، إذ لا يمكن تفسيرها بمدخل مألوفة، أنتج هذا الإسقاط فضاءين: أولهما (فضاء الطبيب)، والثاني (فضاء المريض) حيث عمد إلى إسقاط عبارة الطبيب (أخذ ملعقة بعد كل وجبة) على واقعه الحقيقي، وتجاوز عمل الفعل ودوره في سياقه التركيبي، وهو ما سمح بظهور عدد من العناصر المترابطة منها ما فعله في المطعم.

4- المزج المفاهيمي في كتاب "ألوان بلا تلوين":

1-4 البنية المزجية: الطفل الإعلامي:

"قال المعلم للطفل: أتعلم ماذا يحل بالأولاد الكذابين إذا كبروا؟ قال: نعم، يعملون في دور الإشهارو" المغازات" الكبيرة ويكتبون في الجرائد..." (الأخضر، 2016، ص76).

يحتوي المزج الوارد في النكتة على مدخلين هما: الولد الكاذب والإعلامي، لكن الإعلامي يمكنه تجنيد مُدخل ثالث، وهو المبالغة في نقل الأخبار وتضخيمها، لتوفير الإطار الذي بموجبه يكون الكذب وتلفيق الأخبار وتغيرها، وإقناع الناس بصدقها، ويضاهي الطريقة التي يتعامل بها قطاع الإعلام والإشهار مع الناس صفة الكذب عند الولد. وبالتالي، تكون البنية المزجية والفضاء الجامع (الطفل الإعلامي)، فضاء دخل 1 (الولد)، فضاء دخل 2 (الإعلامي)، الفضاء المزج (تلفيق الأخبار وتزييفها).

2-4 البنية المزجية: التاجر السخي:

"قال الأب لطفله: لماذا لم تأخذ الحلوى لما طلب منك التاجر بأخذ ما شئت منها؟ فقال الطفل: انتظرت ليعطيني هو، لأن يديه أكثر من يدي" (الأخضر، 2016، ص75).

في هذه النكتة هناك ما لا يقل عن اثنين من مسافات الإدخال الأولى متعلقة بالولد الطماع والثانية التاجر السخي، وتنبع الدعابة من قراءة جديدة لمصطلح التاجر السخي من طرف الطفل، والتي تقدم عضوا جديدا إلى هذه الصفة، أي تاجر له يد كبيرة بدلا من تاجر يمنح بفائض. وفقا لذلك، فإن فئة التاجر السخي قد تم تخريبه لتقديم قراءة جديدة تم استغلالها بشكل إبداعي لأغراض فكاهية، ومن أجل تخريب هذه الفئة يتم تفسير الفضاء الممزوج الجديد من مدخلات

متعددة. وتكون البنية المزجية والفضاء الجامع (التاجر السخي)، فضاء دخل 1 (الولد)، فضاء دخل 2 (التاجر)، الفضاء المزيج (ارتباط السخاء والعطاء بحجم يد التاجر).

3-4 البنية المزجية: المرض الجميل:

"قالت الصديقة لصديقتها وهما خارجتان من المستشفى: اطمئني لن يخرج زوجك قبل شهرين. قالت لها صديقتها: وكيف عرفت؟ قالت: لم أعرف ولكنني لاحظت أن الممرضة جميلة جداً...." (الأخضر، 2016، ص57).

يحيل تداخل المفاهيم أو التصورات المعروفة على معاني جديدة، من قبيل ما تحيل إليه النكتة بين المريض والممرضة الجميلة. ويكون هذا المزج ذهنياً وبطريقة غير واعية في حدود ما نعرفه، فمعرفةتنا بالممرضة الجميلة تجعلنا نأتي بمعنى جديد للمرض، بعد مزجهما. هذا التكامل يشكل ترقيعاً ذهنياً، بعد تذكر صورتى المرض والجمال في الذهن، ينتج التمارض أو ادعاء المرض والبقاء فترة أطول في المستشفى. وتكون البنية المزجية والفضاء الجامع (المرض الجميل)، فضاء دخل 1 (الزوج المريض)، فضاء دخل 2 (الممرضة الجميلة)، الفضاء المزيج (التمارض والبقاء فترة أطول في المستشفى).

4-4 البنية المزجية: المرأة السائقة:

"ركبت امرأة الحافلة وجلست في مكان السائق، فلما حضر طلب منها أن تقوم، فقالت له: أنت رجل قف في أي مكان..." (الأخضر، 2016، ص117).

يتم مطابقة قول المرأة في الوضع الحقيقي مع دور المرأة في سيناريو الركوب في وسائل النقل العامة، لأننا حققنا مزيجاً وهمياً يعد بمثابة عكس الواقع للوضع الحقيقي. ومع ذلك، فإن هذا التطابق هو تطابق بين دور في إطار وعنصر محدد ليس في الواقع. يتم تمثيل هذا النموذج من خلال مساحتين ذهبيتين أوليتين (السائق، المرأة)، ومساحة مشتركة (مساحة عامة، أولوية الجلوس)، ومساحة متكاملة (مساحة ممزوجة أو مزيج المرأة السائقة)، أي قيمة جديدة تظهر بوصفها نتيجة لإسقاط مساحة ذهنية أولية واحدة على مساحة ابتدائية أخرى أو نتيجة دمج معانيها. وينتج عنها البنية المزجية والفضاء الجامع (المرأة السائقة)، فضاء دخل 1 (المرأة)، فضاء دخل 2 (السائق)، الفضاء المزيج (أحقيتها بالجلوس في أي مكان).

5-4 البنية المزجية: الضوضاء الهادئة:

"طلب الطفل من أبيه أن يشتري له طبله فقال: أخاف أن تنوش بها على الجيران فقال: أعدك يا أبي أنني لا أطبل بها إلا عندما ينامون" (الأخضر، 2016، ص77).

نرى أن مفاهيم الضوضاء عند الطفل ونوم الجيران هي الفراغات العقلية الأصلية (المدخل الأول، المدخل الثاني): السمّة المشتركة بينهما (الفضاء العام) هي فقدان الشعور بالصوت، ويؤدي

التفاعل بين هذين الفراغين الأصليين إلى ظهور معنى جديد الضوضاء الهادئة، وهو بدوره مساحة متكاملة والمزيج ليس مجموعة من العناصر المنفصلة، ولكن محاكاة عقلية بسبب ظهور بنية جديدة بشكل أساسي. من هنا، يمكن أن يكون للأفكار والاستنتاجات المشروطة بهيكل المزيج تأثير ردود الفعل على الشخص، مما يدفعه إلى إعادة النظر في مساحاته الأصلية ومعتقداته. وتبني البنية المزجية والفضاء الجامع (الضوضاء الهادئة)، فضاء دخل 1 (لعب الولد)، فضاء دخل 2 (نوم الجيران)، الفضاء المزيج (إصدار الضوضاء دون شعور الجيران بها).

6-4 البنية المزجية: الحوت البشري:

"قال المعلم: عرفتم الآن أن الحوت الكبير يأكل السردين؟ فقال أحد الأطفال: ولكن يا سيدي، كيف يفتح علبة السردين؟...." (الأخضر، 2016، ص78).

يعد الارتباك المفاهيمي أداة أساسية للعقل الفكاهي، وهو ما وقع فيه الطفل حين ربط بين الحوت والإنسان في فتحه للعلبة، إذ تُستخدم في بنائنا الأساسي لجميع حقائقنا من الاجتماعي إلى العلمي، فهذه الرؤى من الخلطات المفاهيمية هي نتاج التفكير الإبداعي، تمزج العناصر وعلاقات الحياة من سيناريوهات مختلفة في عملية اللاوعي التي يُفترض أنها موجودة في كل مكان في الفكر واللغة اليومية. هذا الاندماج ينتج عنه البنية المزجية والفضاء الجامع (الحوت البشري)، فضاء دخل 1 (الحوت)، فضاء دخل 2 (عملية الفتح) الفضاء المزيج (تعامل الحوت مع الأشياء تعامل البشر).

5- الاستعارة المفاهيمية في كتاب "ألوان بلا تلوين":

1-5 استعارة الإنسان حيوان:

قالت الأم: لماذا تأكل التفاحة الكبيرة وتعطي الصغرى لأخيك الصغير، كان الأولى أن تأخذ أنت الصغرى وتعطيه الكبرى.... رأيت الدجاجة كيف تعطي الدودة الكبيرة للدجاجة الصغيرة؟.... قال الطفل وأنا أفعل ذلك أيضاً لو كانت التفاحة دودة" (الأخضر، 2016، ص75).

وظفت هذه النكتة استعارة الإنسان حيوان، واستعارة الحيوان هي كلمة أو عبارة أو جملة تعبر عن تقاطع بين شخص أو شيء وحيوان معين أو فئة من الحيوانات. "والاستعارة الحيوانية قد تتعلق بكل أوجه الفكر الإنساني" (كابن، شاتويبيه، 2015، ص94). إذ نجد الاستعارة في النكتة التي يقابل فيها الإنسان (المجال المصدر) والدجاجة (المجال الهدف). وتمثل التناظرات بينهما في قيم الاحتواء والعناية والحرص والعتاء، فقابل الأخ الدجاجة الكبيرة والأخ الصغير الدجاجة الصغيرة. وتؤكد هذه النكتة أنه في كثير من الأحيان عندما لا يكون لدينا كلمات كافية لشرح شيء

ما فإننا نعطي أمثلة لأشياء مماثلة تحدث بدورها تلقي مغاير يكشف عن روح الدعابة كما حصل مع رد الابن. إن وصف الأم ولدها بالحيوان يشكل نظرة للعالم يمكن للمرء إما الدفاع عنها أو الهجوم عليها، بقدر ما قد يتفاعل معها على أنها ذم جديد.

2-5 استعارة الرجل السلم:

"قالت الأم لابنتها المتزوجة: الرجل كالسلم اصعدي عليه درجة بعد درجة. وكان زوج البنت يسمع.... وبدأت البنت تنفذ تعليمات أمها وتطبق نصائحها، وأدرك الرجل مقاصدها فضربها ضرباً مبرحاً كسر لها ضلعين، وسمعت أمها فجاءت تجري وسألت الزوج عن السبب، قال: إنَّها سقطت من السلم الذي أمرتها بالصعود عليه...." (الأخضر، 2016، ص55).

في ضوء هذه الإسقاطات المفهومية للاستعارة الجارية في النكتة بين المجال المصدر (الرجل) والهدف (السلم) تفرض استعارة الرجل السلم تصورا جديدا للعلاقة بين الرجل والمرأة من خلال الربط بين نسق اجتماعي، هو الزواج، ونسق مادي ملموس، هو السلم بوصفه أداة للارتقاء والسمو والعلو والسلطة أيضا. لتؤكد هذه النكتة أن الاستعارة تتغلغل في الحياة اليومية، وفي المنظومة المجتمعية، وأنساق تعامل الأفراد فيما بينهم، ولا تنحصر في حدود اللغوي. ومن خلال مقابلة الرجل بالسلم تظهر استعارة جديدة لها القدرة على خلق واقع جديد بين الزوجين. إن استعارة الحياة الزوجية اكتست تصورا ذهنيا مفهوما جديدا يضاف إلى المتخيل الجمعي. ولكن ما يجعل هذا النوع من الاستعارة المرحلة مناسبة بشكل خاص للتخريب المفهومي أنه متأني من أخذ تعبير مجازي حرفيا أو العكس.

3-5 استعارة الساعة الخاتم / سجن:

"سأل سارق سارقاً آخر: كم ثمن هذه الساعة التي تنظر إليها في الواجهة؟ قال: ثمنها ستة أشهر...." (الأخضر، 2016، ص148).

"سألت المرأة صديقتهما عن ثمن الخاتم النفيس الذي تضعه في أصبعها، فقالت: ثمنه سنة سجنًا قضاها زوجي العزيز في زنزانة ضيقة" (الأخضر، 2016، ص58).

إن الساعة والخاتم في النكتتين ليستا قيمتين نقديتين بل قيمتان معنويتان تقاسان بأشهر من القيد وانعدام الحرية، فالساعة والخاتم ليستا ساعة وخاتم بمعناه الحرفي، لكنهما المجاز حين يزحزح وثوقية الحقيقي. تعتمد الفكاهة على التلميح الخاطئ بأن الساعة والخاتم ليس لهما ثمن مادي بل معنوي. وبالتالي، فإن تفسير هذا الكلام يعتمد على تعدد المعاني مع وجود إحساس حرفي (فيزيائي) ومجازي (غير مادي). من هنا، نجد أن المجال المصدر (الساعة/الخاتم) يقابل المجال الهدف (السجن)، ولنا أن ننظر إلى النكتتين على أنهما تجربة فكرية مضغوطة أخرى تستخدم وجهة نظر متغيرة عن السجن والسرقة لتخريب ارتباط السلع بقيم مادية معلومة. وهنا تسقط

السلع بوصفها مجالاً تصورياً على مجال تصوري آخر هو السجن فينشأ التناقض والتأثير الفكاهي للنكتة، وينشأ بدوره واقع جديد وتشكل لدينا اعتقادات مختلفة.

4-5 استعارة العلم سخافة:

"جاء التلميذ بالأدوات التي طلبها المعلم، ونسي المحفظة، قال له المعلم: كيف نسيت المحفظة؟ وأين عقلك؟ فقال التلميذ: لم تطلب مني أن أشتريه، هو غير مكتوب في القائمة" (الأخضر، 2016، ص83).

"قال المعلم للطفل: ستة قطط ذكور، وأربع قطط إناث، كم يساوي هذا العدد؟ فقال الطفل: يساوي معركة فوق سقف البيت" (الأخضر، 2016، ص83).

تستند توقعات المستمعين هنا إلى عدد من الأسماء المعبرة الشائعة: (جمع مجموعة من القطط) وعادة ما تعني عملية حسابية، و(كيف نسيت المحفظة؟ وأين عقلك؟) المحيلة وفق سياقها على تساؤل غير حقيقي. هذه الجمل لا تتوفر على روح الدعابة في حد ذاتها، وإجابة التلميذ غير المنطقي في النكتتين سوف يحبط توقعات المستمع، ولكن ينتج عنه الحيرة بدلا من الفكاهة. لهذا نجد أن المجال المصدر (العلم) والمجال الهدف (السخافة). أنتجا التخریب على المستوى المفاهيمي حين عمل على عدة مستويات في وقت واحد، ومنها: تخریب مفهوم عملية الجمع الذي تم تغير وظيفته المعتادة بوصفه عملية حسابية إلى معركة بين القطط، فتتحول ستة قطط ذكور وأربع قطط إناث إلى مجرد معركة، والسؤال التهكمي التأديبي إلى سؤال منطقي وجد له التلميذ جوابا تبريرا، ونجد تخریبا للمتحدث نفسه الذي تحول من مستهلك للمعرفة العالية إلى متلقي ساذج، وتخریب لمفهوم التعليم أو اكتساب المعرفة بشكل عام.

5-5 استعارة الضرب المكافأة:

"ضربت المعلمة التلميذ فبكي فخافت أن يؤنبها المدير، فأعطت للطفل دينارا فسكت. وبعد لحظة قال: أضربيني يا سيدتي مرة أخرى...." (الأخضر، 2016، ص88).

قدمت هذه النكتة نموذجا عن تخریب التوقعات الدلالية عن العقاب وغيرت السيناريو الذي كان المتلقي ينتظره من التلميذ وهو البكاء أو الشكوى من الألم حين استندت على التورية حيث قابل المجال المصدر (الضرب) المجال الهدف (المكافأة). ذلك أن معظم أشكال الدعابة اللغوية تحيل على المعنى المجازي (أضربيني يا سيدتي مرة أخرى)، ويقع بسببها تخریب الخرائط المفاهيمية التي تنطوي عليها التجارب الفكرية، ويجد المرء استعارات يمكن تخریبها من أجل تحقيق روح الدعابة. فالضرب ومقابلته بالدينار يشكل إطارا يثير ما استقر في ذهن المتلقى. هذه الاستعارة

ليست مجرد كلمات معينة لها معان متعددة، بل علاقات منهجية بين مجالات المعرفة. على الرغم من أن اصطلاح بعض الكلمات يحيل على معاني متعددة خدمت الغرض الفكاهي.

6- خاتمة عامة

- يتيح فهم الآليات المعرفية التي تكمن وراء استخدام اللغة لأغراض فكاهية دورا مهما في معالجة اللغة الفكاهية، إذ توفر اللسانيات الإدراكية أفضل إطار لتفسير التواصل الفكاهي من منطلق أنه يعتبر اللغة قيمة مضافة للعقل؛ لأنها تقدم أدلة على العمليات التي يتم من خلالها بناء المعنى.

- ينشئ المتكلم بشكل فوري عددا لا نهاية له من الأفضية الذهنية في الأقوال التي ينجزها نظرا لإنوجادها في جميع الأنشطة الرمزية، ومن أبرزها النشاط اللغوي الذي تحدثه النكت. وأثناء الكلام تتعدد وتتناسل الفضاءات، وتتفاعل عوالم الخطاب نفسها لتؤسس فضاءين يترابطان بوجه ما، وبهما يحدث التأثير الفكاهي.

- يتم إنتاج الفكاهة في النكت وفق المزج المفاهيمي من تفاعل متماثل بين شبكات واسعة من المعنى المفاهيمي الذي لا يستغنى عن العمل الفكري لتحقيق التكامل المفاهيمي، مما ينتج عنه منتجات معرفية تبدو بسيطة على المستوى الواعي. ويؤدي هذا التفاعل إلى ظهور معنى جديد، وهو بدوره مساحة مزجية متكاملة.

- لا تعيد الاستعارة المفاهيمية إنتاج أجزاء من التجربة الاجتماعية لمجتمع ثقافي معين فحسب، بل تشكل هذه التجربة إلى حد كبير. ونظرا لاتسام النكت بطبيعة ملموسة واجتماعية، فإن هذه الآلية الإدراكية توظف المفاهيم من أجل تصور مجال هدف أكثر عقلانية، وهنا يكمن عمل التعبيرات المجازية.

**

7- المصادر والمراجع

- 1- السائحي، محمد الأخضر. (2016). *ألوان بلا تلوين*. الجزائر: منشورات السائحي.
- 2- كابلن، فريدريك وشابوتيه، جورج. (2015). *الإنسان والحيوان والآلة إعادة تعريف مستمرة للطبيعة الإنسانية*. القاهرة: مؤسسة هنداوي.
- 3- Aarons, D. (2012). *Jokes and the Linguistic Mind*. New York, London: Routledge.
- 4- Attardo, S. (2001). *Humorous Texts: A Semantic and Pragmatic Analysis*. Berlin, New York: de Gruyter.
- 5- Brône, G. , Feyaerts, K , &Veale, T. (2015). *Cognitive Linguistics and Humor Research*. Berlin, Boston: De Gruyter.
- 6- Quinodoz, J.-M. (2005). *Reading Freud A Chronological Exploration of Freud's Writings*. New York, London: Routledge.